الورود فى القرآن اربعة فى هود وبئس الورد المورود وفى مريم وان منكم الا واردها وفيها ايضا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا وفى الانبياء حصب جهنم انتم لها واردون كل هذا الدخول وبئس
الورد المورود يعنى وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبّه الله فرعون فى تقدمه على قومه
الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبّه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا
عند الواردين لانه يكسر العطش قال فى حق فرعون فاوردهم النار وبئس الورد المورود لان الاصل
فيه قصد الماء واستعمل فى ورود النار على سبيل الفظاعة قوله واتبعوا اى فرعون فى عذابه
اياهم وملأه الذين اتبعوا امره فى هذه يعنى فى هذه الدنيا لعنة يعنى طردا وبعدا
عظيما عن رحمة الله حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل
الموقف فاللعنة تابعة لهم حيث ما ساروا دايرة معهم اينما داروا فى الموقف واكتفى ببيان
حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من
اغواهم والقاهم فى الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكون اعوانا للمتبوع جعلت
اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد اى العون المرفود المعان وذلك
ان اللعنة فى الدنيا رفد ومعين للعذاب ومدد له وقد رفدت وامدت باللعنة فى الاخرة واللعنتان
تابعتان لهم والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وقيل معناه بئس العطا المعطى وذلك انهم
ترادفت عليهم لعنتان لعنة فى الدنيا ولعنة فى الاخرة واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليصير
ما يضاف عمادا له وعن مجاهد واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اردفوا بزيدوا بلعنة
اخرى فتلك لعنتان بئس الرفد المرفود اللعنة فى اثر اللعنة واخرج ابن ابى حاتم عن السدى فى الاية قال
لم يبعث نبى بعد فرعون الا لعن على لسانه ويوم القيمة يزيد لعنة اخرى فى النار وقال ابن عباس فى
معنى فبئس الرفد المرفود يعنى بئس اللعنة بعد اللعنة قالت النابغة فى هذا المعنى ∴ لا تقذفنى بركن
لا كفاء له ∴ وان تاثفك الاعداء بالرفد ∴ وقد مر احوال كفر فرعون فى يونس قوله تعالى ذلك
من انباء القرى اى ذلك النبأ المذكور الذى ذكر من انباء الامم السالفة والقرون الماضية من
بعض انباء القرى المهلكة وبعد اسم الاشارة باعتبار تقضيه فى الذكر والخطاب للرسول عليه السلام
وذلك مبتدا وخبره من انباء القرى وقوله نقص عليك خبر بعد خبر والمعنى لخبرك يا محمد لتخبر
قومك اخبارهم لعلهم يعتبروا بهم فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب
ثم استانف فقال منها قايم اى بعضها يعنى من تلك القرى التى اهلكنا اهلها بعضها عامر
باق كالزرع القايم على ساقه واهلها قد هلك وحصيد اى بعضها عافى الاثر كالزرع المحصود قيل
منها قايم الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محى واندرس على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره
وما ظلمناهم اى بعذابنا واهلكنا اياهم بغير ذنب ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى
يعنى بان عرضوا انفسهم للهلاك بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم اى فما نفعتهم
ولا قدرت ان تدفع عنهم العذاب آلهتهم التى يدعون اى يعبدون من دون
الله اى من غيره من زايدة شئ اى شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اى حين
جاءهم

جاءهم عذاب الله ونقمته لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب وما زادوهم
غير تتبيب اى غير تخسير وتدمير وهلكة التب الخسران لتخيصه ما زاد والاصنام بعبادتهم
غير شر وخسران اسند الفعل الى الواو والضمير الذى هو لمن يعقل لانهم نزلوهم منزلة العقلاء
فى اعتقادهم انها تنفع عبادتهم لها ثم بيّن ان عذابه غير مقصور على اولئك الاقوام بل يعم كل
ظالم سيوجد فقال وكذلك اى ومثل ذلك الاخذ الذى مر بيانه وهو مبتدأ وخبره قوله
اخذ ربك اى عقوبة ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب
على المصدر اى اخذا مثل ذلك الاخذ اذا اخذ اى اذا عاقب القرى اى اهلها وقرئ اذ
اخذ لان المعنى على المضى وهى ظالمة فلا يغنى عنهم من اخذه شئ وهو حال من القرى
وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت الحال عليها وفى ايثارها الاشعار بانهم
انما اخذوا لظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ظلم نفسه او غيره فان الظلم مطلق ثم لما
بيّن كيفية اخذ الامم الظالمة اكده بقوله ان اخذه اليم شديد اى وجيع غير مرجو
الخلاص عنه وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير اخرج البخارى ومسلم والترمذى والنسائى
وابن ماجة وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ وابن مردوية والبيهقى فى الاسماء والصفات
عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه ليملى للظالم حتى اذا
اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد اعلم ان فى
الاية الكريمة والحديث الشريف دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة
والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع فى هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد
ولا يظن ان هذه الاية حكمها مختص بظالم الامم الماضية بل هو عام فى كل ظالم ويعضده الحديث
والله اعلم ان فى ذلك اى فى ذلك المذكور من القصص وما ذكر من عذاب الامم السالفة
واهلاكهم لآية اى لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الآخرة يعنى ان هلاك اولئك
عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من اقر به ويخشى الله ويخاف عذابه لانه ينظر الى ما نزل
بهم بسبب ذنوبهم فيعلم ان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين فى الاخرة فيزجره عن
موجباته فانه يعلم ان ما نزل بهم فهو من فاعل مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واما
من انكر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شئ من احواله مستندا الى الفاعل
المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق فى بعض
الاوقات لا لما ذكر من المعاصى التى اقترفها الامم السالفة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا وهلاكا له
لما لهم من الخيالات الباطلة والافكار الفاسدة ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب
الاخرة دل عليه يوم مجموع له اى فيه الناس اى للحساب فيه والثواب والعقاب وتغييره
مجموع له الناس فان معنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والجزاء وايثار اسم المفعول على يجمع
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وتحقق وقوعه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ
من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اى يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس فيه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1